

## النساء الشاعرات فى الأدب العربى

مهدي ممتحن\*

تاريخ الوصول: ٩٢/٤/١٨

شمسى واقف زاده\*\*

تاريخ القبول: ٩٢/٨/١٩

حسن خانجاني\*\*\*

### الملخص

ظهرت فى القرن العشرين دعوات تنادى بالنسوية وأطلق عليها مصطلح "الأدب النسائي"، فى سياق الحركات الداعية لتحرير المرأة وأطلقت على الأدب العربى فى السبعينات وفى الثمانينات حتى ظهر تيار عربى سمي بالنقد النسوى. ومازال هذا المصطلح موضع شك وارتباب بالنسبة لكثيرات من المبدعات، ومازال بالنسبة لبعضهن تهمة تنصق بما يكتبته ومن هنا بقى المصطلح يتأرجح بين مؤيد ومعارض وسط مناقشات فى الأوساط النسائية الأدبية بشكل خاص. وطبعاً تم الاختلاف حول المصطلح، هل الأدب النسائي هو الأدب الذى تنتجه المرأة؟ أم هو ما تكتبه المرأة ويدعو إلى التمرد على ذكورية المجتمع؟ أم هو غير ذلك؟ قبل ذلك هل يوجد أدب نسوى وأدب رجالى؟ أم أن الأدب هو أدب إنسانى لا رجولية ولا نسوية فيه؟ أيضاً ما المصطلح المناسب؟ أدب نسوى، أم أدب المرأة؟ أم الأدب الأنثوى؟ أم الأدب النسائي؟

الكلمات الرئيسية: الأدب النسائي، الأدب الرجالى، الأدبيات، الشاعرات.

Dr.momtahen@gmail.com

\* عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت (أستاذ مشارك).

\*\* عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى ورامين (أستاذ مساعد).

\*\*\* مدرس جامعة آزاد الإسلامية فى اسلامشهر.

## المقدمة

عندما نتكلم عن مصطلح "الأدب النسائي"، تنصرف الأذهان إلى دالتين محتملتين لهذا المصطلح، الأولى، أدب كاتبته المرأة والأخرى، أدب موضوعه المرأة؛ ومن باب التفريق انصرف المصطلح إلى الدلالة الأولى، واختصت الثانية بمصطلح آخر هو "الأدب النسوي".

يمكن القول إن استعمال مصطلح الأدب النسائي يعود في العالم العربي، إلى مرحلة النهضة التي أدرك فيها المتنورون أهمية دور المرأة في نهوض المجتمع، وهو ما استدعى تعليمها وأفسح لها، من ثم إمكان المشاركة في النشاطات الاجتماعية والثقافية والإنتاج الأدبي. في هذه المرحلة – مرحلة النهضة – عرفت اللغة العربية مجموعة من المفردات تخص نشاطات المرأة وتشير إلى ما يبذل من أجلها مثل، «تعليم النساء»، «الجمعيات النسائية» مثل جمعية «زهرة الإحسان» وهي أنشأت سنة ١٨٨٠م في بيروت وجمعية «يقظة الفتاة العربية» في سنة ١٩١٤م، «المجلات النسائية» مثل مجلة «الفتاة» أصدرت سنة ١٨٩٢م في الإسكندرية ومجلة «المرأة» سنة ١٨٩٣م في حلب، مثل هذه النشاطات وسمت بـ«النسائية» وإن شارك فيها الرجل. وعليه فإن «النسائي» يشير وبشكل أساس، إلى حيز دال على حضور المرأة ونشاطها في الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية.

أما المرأة دخلت إلى مجال العلم والتعلم متأخرة عن الرجل، إذ كانت المرأة قبل عصر التنوير لا يسمح لها بالخروج من المنزل. وقد تم إرسال أول فوج من النساء للتعليم في الجامعات في مصر عام ١٩٣٢م وذلك في الوقت الذي كان هناك خريجوا رجال عرب من كل مكان في العالم، لذا فمن الطبيعي أن يسبقها الرجل في الكتابة.

## مصطلح "الأدب النسائي" في النقد العربي

مع ازدياد عدد الأدبيات الشهيرات بدأ هذا السؤال وأمامه علامة استفهام كبيرة «هل لدينا أدب نسائي وأدب رجالي؟» أم أن الأدب هو أدب إنساني، لا رجولية ولا نسوية فيه؟ أما من بين النقاد العرب فنلغى جورج طرابيشي الذي يميز بين ما تكتبه المرأة وما يكتبه الرجل إذ يرى أن الرجل يكتب بعقله، أما المرأة فتكتب بقلبه ويقول: «العالم هو محور اهتمام الرجل، أما المرأة فمحور اهتمامها الذات، حيث تستمد جمالية الكتابة في المقام

الأول من ثراء العواطف وزخم الأحاسيس» (طرابيشي، ١٩٨١م: ١١-١٠) كما يقول بعضهم، إن المرأة تجنح إلى التخصيص والرجل يجنح إلى التعميم، حيث تكون نظرته شاملة ونظرتها جزئية وفردية.

في جانب آخر يرى بعض النقاد، أن الأدب له أصوله ومفرداته وأدواته الفنية التي تختلف في تمييزها من أديب إلى الآخر ولا يمكن أن يختلف عند الرجل أو المرأة، ولا يمكن أن نسمي غير الأدب، أدباً لمجرد أن كاتبه امرأة أو رجل وشاعته - خطأ - مقولة "الأدب النسائي" رغم أن الكبار لا يجذبون هذا التعبير؛ حيث قالت الأديبة الجزائرية زهور ونيسى: «الأدب يقوم على جوهر إنساني دون أن تدخل فيه «الأنوثة» أو «الذكورة»... فهو يبحث عن التزاماته ليضيف التزاماً آخر ينتصر به على أعداء المجتمع أياً كانوا» (ونيسى، ١٩٨٨: ١٥).

ويقول بعضهم إن هناك مواقف وقصصاً تكون فيها الكاتبة أقدر على سبر أغوار المرأة لكونها امرأة، كما أن الرجل يكون قادراً على توصيف حالات وضع الرجل أكثر من المرأة، على الرغم من وجود نماذج من أدباء استطاعوا الدخول إلى العوالم الأخرى. وبعضهم يعتقدون أن المرأة إنسان ذو موقع اجتماعي واقتصادي وذو علاقات إنسانية بالمجتمع الذي تعيش فيه ومن هذا الأساس تعبر عن مبادئها وعن رؤيتها إلى الحياة، وهي في ذلك تنفق مع بعض الكتاب وتختلف مع بعضهم الآخر لذلك لا نستطيع أن نطلق اصطلاح «الأدب النسائي» تجمع فيه كاتبات مختلفات تماماً في الأسلوب والاتجاه والرؤية الفكرية. وهناك العديد من الأقلام النسائية التي ترفض مسألة التضييق على أساس الجنس وترى في الأمر شيئاً من المبالغة واللاواقعية، ويمكن أن الأدب يعني كلا الجنسين وليس جنساً دون آخر. لأن الأدب خلاصة تجربة إنسانية لا تختص الذكر دون الأنثى ولا الأنثى دون الذكر؛ وذلك إذا أتاحت للمرأة الفرص للتحقق ثقافة عميقة مثل الرجل، وحظيت بالمكانة نفسها التي يتمتع بها الرجل في المجتمع.

### بين شعر النساء وشعر الرجال

مادام موضوع بحثنا في الشعر النسوي، فقد يتبادر إلى الأذهان سؤال، هل هناك فرق

بين شعر النساء وشعر الرجال؟

فأجاب البعض، بأن للمرأة عالمها كما للرجل عالمه، ولكل منهما تصورات ونظرات للحياة تختلف عما عند الآخر، كما أن هناك فوارق طبيعية ناتجة عن الفوارق الجنسية والجسمية تقتضى انفراد أدب المرأة عن أدب الرجل. وذلك لأن أدب المرأة مرتبط بتركيبها الذهني والنفسي وأشياء أخرى أهمها عاطفة المرأة وحساسيتها ... .

وفنية الأدب تعنى ارتباطه بالوجدان والعاطفه ولاسيما الشعر الذى تعبر به عن عواطفها وحساسيتها المرهفة، وقلما تجيد المرأة كتابة المسرحيات والمقالات والأبحاث الفكرية والأدبية والمواضيع العلمية وذلك لأن البحث يتطلب عقلاً منهجياً منظماً لادخل للعاطفة والوجدان فيه(الكيلاني، لاتا: ٢).

يرى البعض الآخر أن المرأة لها نظرتها للأمور تختلف عن نظرة الرجل لاختلاف طبيعتها عن طبيعة الرجل، وذلك بالرغم من مشاركتها للرجل فى جميع مجالات الحياة وميادينها فى العصر الحديث. أدب الرجل ترى فيه الخشونة الواضحة تنم عنها فزعاته فى الشعر الحماسى وشعر الفخر وحتى فى شعر الغزل، بينما أدب المرأة تتجلى فيه أنوثتها بوضوح شعراً كان أو قصة مثل رثاء *الخنساء* لأخيها صخر، ومجال القصص ترى اهتمامات المرأة انصبّت فى معظمها حول تجسيد هموم المرأة ومعاناتها، وواقع الحياة بين الزوجين وحديث الغدر والخيانة، وهموم الظروف الحياتية، والحديث عن عطاء المرأة الدائم، وفى كل ذلك تهتم الأدبية بأن تسبر أغوار المرأة من منطلق واقعها كأنثى وهذا ما يعجز عنه الرجال، ولعل سر غزارة القصة فى الأدب النسائي يرجع إلى طبيعة المرأة وخصوبة خيالها أكثر من الرجل.

كما نلاحظ معظم شعر المرأة يتصف بالسهولة والبساطة العفوية لأنها تكره المجردات والعقليات، فإذا فكرت فهي تفكر من خلال احساسها وعواطفها وإذن هناك أدبان أدب يصدر عن النساء؛ بخصائصه، وآخر يصدر عن الرجال بخصائصه. وهذا شىء طبيعى لأن لكل من المرأة والرجل عالمه(بوفلاقة، ٢٠٠٣م: ٢٥).

### جامعو الشعر العربى والمؤرخين تناسوا المرأة العربية الأدبية

مما يؤكد أن شعراً كثيراً قد ضاع إلى جانب عديد من الأسماء الشعرية الضائعة وإلا كيف نفسر عدم عثورنا على ديوان مستقل لشاعرة واحدة، باستثناء المقطعات التى جمعت

لكل من *الخنساء* و*ليلى الأخيلية*، أو بعض المراثى التى حصرها *ابن سلام* فى كتابه «طبقات فحول الشعراء»، ضمن قسم طبقة شعراء المراثى أو *البحترى* الذى ضمن مختارات من غرض الرثاء لمجموعة من الشاعرات العربيات فى كتابه «الحماسة». وهكذا لم يصل إلينا من الشعر النسائى إلا النزر القليل، وهى الحقيقة التى أكدها بعض الشعراء؛ ف*أبونواس* مثلاً معترفاً بشاعرية كم كبير من الشاعرات اللاتى عشن فى الجاهلية وصدر الإسلام أفاد من تجاربهن الشعرية بقوله: «ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن *الخنساء* و*ليلى الأخيلية*» (صادق الرافعى، ١٩٧٤م، ج ٣: ٧٣).

كما قال *أبوتمام*: «لم أنظم شعراً حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة» (نفس المصدر)، إهمال المرأة العربية الشاعرة من قبل المؤرخين القدماء وضياع أكثر شعرها، يعود إلى أسباب اجتماعية قاهرة تحكمت فيها وكذلك إلى أسباب تاريخية منها:

١. إن حركة الجمع والتدوين فى العصر العباسى قد نشطت على أيدي رجال عاشوا بعقلية مجتمع وأد المرأة معنوية، وعزلها عن الحياة العامة ومن ثم لم يكن لها فى تصورهم أن تتحدث عن عواطفها ولذا حصروا مجالها الفنى فى الرثاء.

٢. التعصب من قبل الرجال وعدم اعترافهم بشاعرية المرأة، فى القديم كانت تحاط بسياج كامل من الصون والعفاف فكان الحديث عنها يحفظ وحديثها كان يكتم. وكان الحديث عن المرأة فى المجتمع الجاهلى والإسلامى والأموى يحاط بسياج من العفة، وفى مجتمع الصعاليك فكان لا ينظر إلى المرأة إلا من جانب المتعة، والشهوة والجسد والغزل وكان الحديث عن المرأة فى شتى جوانب الحياة، فهى الزوجة والأم وصاحبة الصون والعفاف وهذا المجتمع شذ عن الأعراف السائدة، ولذلك ظهور المرأة على الساحة الأدبية مرتبط بعوامل بيئية.

٣. جمع بعض الرواة والعلماء، أشياء من شعر النساء، غير أن أكثر هذه الكتب قد ضاع مع ما ضاع من التراث العربى (بوفلافة، ٢٠٠٣م: ٢٣).

### الإهمال أو الإغفال في إسهام المرأة العربية في الحقل النقدي

تجلى الإهمال في إسهام المرأة العربية أيضاً في الحقل النقدي، إذ نلاحظ أبعاد بعض المحاولات النقدية التي صورت عنها وتصنيفها هامشياً على ضفاف الآراء النقدية المعتد بها، هنا نذكر مشهدين برزت فيهما المرأة كموقف، ورؤية نقدية حسيمة:

وأما المشهد الأول فيتجلى في تحكيم أم جندب بين زوجها/ امرئ القيس وعلقمة بن عبدة الذي تزوجها فيما بعد وصار يعرف بعلقمة الفحل، يقول ابن قتيبة: «كان علقمة ينازع امرئ القيس الشعر، فقال كل واحد منهما لصاحبه، أنا أشعر منك، فقال علقمة قد حكمت امرأتك أم جندب بيني وبينك، فقال رضيت، فقالت أم جندب: قولاً تصفان فيه الخيل على روى واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس قصيدته التي أولها:

خليلي مرا بى على أم جندب لنقض لبيانات الفؤاد المعذب

و قال علقمة قصيدته التي أولها:

ذهبت من الهجران في غيرمذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

ثم أنشدها جميعاً، فقالت لامرئ القيس، علقمة أشعر منك. قال وكيف؟  
قالت لأنك قلت:

فللسوط ألهور وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك، وزجرك فأتعبته بساقتك وقال علقمة:

فولى على آثارهن بحاصب وغيبة شؤبوب من الشد ملهب

فأدر كهن ثانياً من عنانه يمر كمر الراح المتحلب

فأدرك طريدته، وهو ثان من عنانه، لم يضربه بسوط، ولم يمره بساقه، ولم يزره (ابن قتيبة، ١٩٨٦م: ١٣١ - ١٣٠).

أما المشهد الثاني فقال أبو الفرج الاصفهاني في كتابه «أخبار النساء في كتاب الأغاني»: «اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال: صاحبي أشعر. فحكى سكينة بنت الحسين بن علي، رضى الله عنهما، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر؛ فخرجوا يتقادون، حتى

استأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها الذى كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذى يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ألا قال: فادخلنى بسلام!

ثم قالت لراوية كئيب: أليس صاحبك الذى يقول:

يقرّ بعينى ما يقرّ بعينها وأحسن شىء ما به العين قرّت

فليس شىء أقرّ لعينها من النكاح، أفيحب صاحبك أن ينكح؟ قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذى يقول:

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلى

فما أرى بصاحبك من هوى، إنما يطلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره! ثم قالت لراوية نصيب: أليس صاحبك الذى يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا حربا من ذا يهيم بها بعدى

فما أرى له همة إلا من يتعشقها بعده! قبحه وقبح شعره! ألا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية/الأحوص: أليس صاحبك الذى يقول:

من عاشقين تواعدا وتراسلا ليلاً إذا نجم الثريا حلّقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرّقا

قال: نعم، قالت: قبحه الله وقبح شعره! ألا قال: تعانقا.

قال إسحاق فى خبره: فلم تُثن على أحد منهم فى ذلك اليوم، ولم تقدمه.

قال: وذكر لى/الهيثم بن عدى مثل ذلك فى جميعهم إلا جميلاً، فإنه خالف هذه

الرواية، وقال: فقالت: لراوية جميل: أليس صاحبك الذى يقول:

فيما ليتنى أعمى أصمّ تقودنى بثينة لا يخفى على كلامها

قال: نعم قالت: رحم الله صاحبك كان صادقاً في شعره، كان جميلاً كاسمه، فحكمت له«(الاصفهاني، ١٩٨٨م: ١٦٣-١٦٢).

### الأدب النسائي مدى الأعصار المختلفة

إنّ الأدب العربي النسائي مهضوم الحق، مهيب الجناح قديماً وحديثاً، فما تكاد ترى ديواناً لشاعرة، أو مجموعة لنابغة، أهمل ذلك الأولون، ومضى على آثارهم المتأخرون، فأنت إذا تصفحت مختارات الشعر كحماسة أبي تمام والبحتري وغيرهما من الأقدمين، أو مختارات البارودي وأمثاله من المتأخرين لا تجد فيها شعراً نسائياً إلا ما ندر.

كأن الدهر قد حكم على المرأة بالظلم في كل شيء حتى في الأدب والشعر، وما أدري إن كان ذلك من الأولين تعمداً أم كان منهم إهمالاً ونسياناً (يموت، ٢٠٠٦م: ٥). على كل حال إن المتصفح لمتن الشعر العربي القديم ابتداء من عصر ما قبل الإسلام مروراً بالأعصر الأموية والعباسية والأندلسية و... وصولاً إلى عصرنا الحاضر يلقى عدداً ضخماً من الشاعرات المجيدات في مختلف الأغراض الشعرية:

ففي العصر الجاهلي نجد أسماء شاعرات كثيرات وإن كان ما وصلنا من شعرهن قليل، وأشهرهن زرقاء اليمامة التي كانت شاعرة وعرافة وهي التي تقول تحذر قومها من عدوٍ يبيت لهم:

خذوا حذاركم يا قومٌ ينفعكم فليس ما أرى بالأمر يحتقرُ

إني أرى شجراً من خلفها بشرٌ وكيف تجتمع الأشجارُ والبشرُ

(صقر، ١٩٦٧م: ١٣٩)

وهذه كرمة بنت ضلع كانت تنشد الأراجيز لتحض الرجال، وتحمسهم على الحرب، من شعرها هذه الأرجوزة المشهورة:

نحنُ بناتُ طارقُ نمشى على النمارقُ

مَشى القطى البارق المشكُ فى المفارق

والدّرُ فى المخانقُ إن تُقبلوا نُعانق



أو تُدبروا نُفـارق      فـراق غير وامق

(يموت، ٢٠٠٦م: ٤٢)

ومنهن ليلى بنت لكيز الملقبة بالعفيفة، وهى التى تصف فيها ابتذال الأعداء لعفافها بهذا البيت البديع:

غَلَّوْنِي قَيْدُونِي ضَرَبُوا      مَلَمَسَ العِفَّةِ مَنَى بالعصا

(نفس المصدر: ٣٢)

وكذلك السلـكة أم السليـك السعدى وهو من الشعراء الصعاليك، كان لها شعر مؤثر فى رثاء ابنها الذى قتله أحد أعدائه ومنه قولها:

طافَ يَبغى نَجْوَةً      من هلاكٍ فَهَلَكُ

لَيْتَ شعري ضَلَّةً      أى شىءٍ قَتَلَك؟

أمريـض لم تُعَدِّ      أم عَدُوٌّ خَتَلَك؟

(صقر، ١٩٦٧م: ١٦٦)

أما فى صدر الإسلام والعصر الأموى فقد حفظت لنا الكتب أسماء شاعرات من قريش ومن بيت النبوة، ومنهن عائشة بنت أبى بكر وعقيلة بنت عقيل بن أبى طالب وسكينة بنت الحسين والرباب زوجة الحسين وفاطمة بنت الأحجم الخزاعية وهى من صحابة الرسول عليه السلام وعاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب، وإن كانت المصادر التى بين أيدينا لم ترون لهن إلا قليلا (بوفلاحة، ٢٠٠٣م: ١٩). وكذلك سكينة بنت الحسين (ع) التى كانت شاعرة وناقدة، قبل أن يعترف بها مؤرخو الأدب ومن شعرها قولها ترثى زوجها مصعب بن الزبير الذى قتل فى حرب عبد الملك بن مروان.

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذى      يرى الموت إلا بالسيوف حراما

وقبلك ما خاضَ الحسينُ مَنِيَّةً      إلى القوم حتى أوردوه حماما

(صقر، ١٩٦٧م: ١٦٤)

هذه المقطوعة للرباب زوج الحسين بن على بن أبى طالب ترثيه فيها حين قتل:

إن الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيلٌ غير مدفون  
سبطُ النبي جزاك الله صالحاً عَنَّا وَجُنَّبْتَ خُسْرانَ الموازين

(كحالة، ١٩٨٢م، ج ٢: ٢٤٢)

وفي هذا العصر اشتهرت ليلي الأخيلية صاحبة توبة بن الحمير، وهي شاعرة من شواعر العرب المتقدّمت في الإسلام وبها شعر كثير في الغزل والرثاء (صقر، ١٩٦٧م: ٣٤٥).  
وفي العصر الأموي فنجد ميسون بنت بحدل، وقد اشتهرت بأبياتها التي قالتها في تفضيل خيمتها البدوية على القصر المنيف الذي أسكنها فيه زوجها معاوية بن أبي سفيان ومنها:

لبيت تخفُّقُ الأرواح فيه أحبُّ إلى من قصرٍ منيفٍ  
ولبسُ عباءةٍ وتقرّ عيني أحبُّ إلى من لبسِ الشّفوفِ

(نفس المصدر: ١٦٤)

وفي العصر العباسي أهم شاعراته الرابعة/العدوية التي عاشت في القرن الثاني للهجرة وعلية بنت المهدي، أخت هارون الرشيد وكانت من ظريفات الدهر ذكاءً وجمالاً وغناءً وشعراً. وفيها مجانة وحرية متطرفة في القول، على عفاف وشرف ومقام. ومن غريب أمرها أنها نظمت الغزل نسائياً أي تغزلت باسم امرأة كناية عن حبيبها الرجل ليبقى مجهولاً. وقد عشقت غلاماً اسمه طلّ وقالت فيه:

أيا سرورة البستان طال تشوقي فهل لي إلى طلّ إليك سبيل  
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه وليس لمن يهوى إليه دخول  
عسى الله أن نرتاح من كربة لنا فليقنى اغتباطاً خلّة وخليل

(يموت، ٢٠٠٦م: ٢٤٠)

وفي عصر الفترة أشهر شاعراته محبوبية جارية المتوكل التي كان لها شعر بديع ولها رثاء في سيدها جعفر (المتوكل) من أجمل ما قيل في هذا الموضوع. وكان للمتوكل شاعرتان غير محبوبية هما بنان وفضل، كانت فضل شاعرة متقدمة في زمانها وقالت:

استقبل الملك إمام الهدى عام ثلاث وثلاثيننا  
خلافة أفضت إلى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرينا  
إنا لندرجو يا إمام الهدى أن تملك الناس ثمانينا  
لاقدس الله امرأ لم يقل عند دعائي لك آمينا

(نفس المصدر: ٢٥٠)

وفي المغرب العربي في الأندلس يعجز القلم عن إحصاء الأديبات الأندلسيات، ومنهن  
الجزارية العجفاء، عائشة بنت أحمد القرطبية، حمدونة بنت زياد الغرناطية، زهون  
الغرناطية وولادة بنت المستكفي.

أمّا ولادة بنت المستكفي فهي صاحبة الندوة الشعرية الشهيرة، التي تعد نموذجاً  
للنشاط الأدبي النسائي وتحرر المرأة في المجتمع الأندلسي (غريب، ١٩٨٠م: ١٢). ولادة  
فتحت صالونها الأدبي في قرطبة في القرن الحادي عشر الميلادي، بينما عرفت فرنسا  
هذه الصالونات لأول مرة في القرن السابع عشر وكثرت في القرن الثامن عشر؛ فاجتمع في  
ندوتها من معاصريها شعراء وأدباء ووزراء من الرجال والنساء وكانت تستقبل الجميع  
ببشاشة ولطف، فيعجب بها الرواد، ويتمنى كل واحد منهم أن تكون له وحده وقد أشارت  
إلى ذلك حين قالت:

إنى و إن نظر الأنام ليهجتي كظباء مّكة صيدهنّ حرام

يخسبنّ من لين الكلام فواحشا وَيصدّهنّ عن الخنا الإسلام

(بوفلاقة، ٢٠٠٣م: ٨٤)

قال ابن بسام في «الذخيرة»: «مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعبا  
لجواد النظم والنثر، يعيش أهل الأدب إلى ضوء عزتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على  
حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب  
وطهارة أثواب» (ابن بسام: ١٩٧٥م، ج ١: ٤٢٩).

وفي عصور الاضمحلال الأدبي عقب غارات التتار على العالم العربي وتدميرهم لمكتبة  
بغداد، وتقويضهم لدولة الخلافة العباسية ظهرت بين رواد الأدب امرأة ناسكة زاهدة هي  
السيدة عائشة الباعونية. كان ظهورها في دمشق في بيت علم وأدب، فكانت قمرأ في ليلٍ

شديد السواد بددت ضيأؤه حالك الظلم. «الفتح المبين في مدح الأمين» هي من قصائد المديح لعائشة الباعونية، لهذه المدحية أهمية خاصة كونها من نظم امرأة هي أغزر الشاعرات العربيات حتى القرن العشرين، وقد ارتبط اسمها بشعر المديح النبوي وهي مع البوصيري أهم من اشتهروا بهذا الفن. ويبدو أن الباعونية كرسّت جلّ إنتاجها الأدبي شعراً ونثراً لموضوع مدح الرسول والمولد النبوي. وبديعيتها «الفتح المبين» المعارضة لبردة البوصيري أهم أعمالها، وجاءت في مئة وثلاثين بيتاً ومطلعها:

في حسن مطلع أقمار بذى سلّم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم  
للباعونية مدحية أخرى مشهورة أورد صاحب الكشكول أبياتاً منها أولها:

سعد إن جئت ثنيات اللوى حى عنى الحى من آل لوى

(العاملى، ١٩٦١م: ٣٦١)

فيها وفي «الفتح المبين» توظف الباعونية فن البديع لمدح النبي كالحلى وابن حجة، ولكن ما يميز مديح الباعونية عن مديح الشعراء الرجال هو البعد العاطفي لدرجة تجعلنا نميل إلى اعتبارها رائدة الرومنسية الروحية في الشعر العربي. وفي عصر نهضة الأدب بعد الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام كان من بين رواد النهضة الأدبية سيدات فضيلات من أبرزهن: ملك حنفي ناصف وعائشة التيمورية التي أجادت الشعر باللغتين العربية والتركية وخلفت في ذلك ديوانين «حلية الطراز» وهو ديوان لمجموعة أشعارها العربية وديوان آخر باسم «شكوفه» هو ديوان أشعارها التركية، وهو يحتوى على بعض الأبيات التي قالتها الشاعرة في ابنتها توحيدة التي توفيت وهي في مقبل العمر.

ولها مؤلفات أخرى هي: «نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال» هو كتاب عربى، فيه قصص لتهديب النفوس و«مرآة التأمل في الأمور» وهي رسالة باللغة العربية في الأدب. وفي عصرنا الحديث في مجال الصحافة تألفت زينب فوز المولودة في جنوب لبنان عام ١٨٤٦م، حيث اشتغلت بالصحافة وألفت كتاب تراجم لنساء شهيرات عنوانه «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» ومارى الياس المشهورة بمى زيادة كانت ألمع الأدباء والوحيدة التي كانت تتقن ست لغات، إضافة إلى أسماء أخرى في بلدان المشرق قامت بإنشاء صحف ومجلات نسائية مثل روز أنطوان التي أسست «مجلة السيدات والبنات» في

الإسكندريه عام ١٩٠٣م ومارى عجمى صاحبة «العروس» التى أنشأتها فى دمشق عام ١٩١٠م (غريب، ١٩٨٠: ٢١)؛ أمّا فى مجال الرواية، فأول رواية عربية فى تاريخ الأدب الحديث، هى رواية «حسن العواقب» لزينب فواز وقد كان ذلك عام ١٨٩٩م ورواية «بديعة فؤاد» للكاتبه اللبنانيه عفيفه كرم ورواية «ذاكرة الجسد» للروائية الجزائرية أحلام مستغانمى.

وللأدب العربى فى هذا العصر أيضاً باحثات ومفكرات أخريات نحو الكاتبة الأديبة العالمه بنت الشاطىء، عائشه عبدالرحمن والأديبة القاصه سكينه فؤاد والكاتبة نعمات فؤاد ومن الشاعرات عليه الجعار وروحية القليني و ... .

انتهى هذا البحث إلى المساحة الكبيرة التى تشغلها المرأة فى كافة المجالات، وقد وقف على أهم الشخصيات النسائية البارزة، اللاتى يعتبرن من أعلام الأدب العربى وقدرن على إثبات وجودهن فى مجتمعاتٍ أغلب أفرادها لايعترفون بالمرأة كعنصر منتج.

### أغراض الشعر النسائى

يتناول شعر النساء فى العصر الجاهلى والإسلامى أغراض الشعر المعروفة فى تلك الفترة كالمدح والثناء والهجاء والحكمة وإثارة لحماس وغيرها من الأغراض، غير أن أهم الأغراض الشعرية التى نظمت فيها المرأة الجاهلية هو الرثاء وذلك لأنّ نذب الميت والتفجع عليه كان من مهماتها وكانت *الخنساء* أرثى شواعر العرب وأغزرن شعراً وديوانها يكاد يقتصر على الرثاء (بوفلاقة، ٢٠٠٣م: ١٧).

ومن عيون شعرها فى رثاء أخيها صخر:

يذكرنى طلوع الشمس صخراً وأذكرة لىلّ غروب شمس

فلولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسى

(الخنساء، ١٩٤٨م: ٥٠)

وفى هذه المرحلة ظهرت شاعرة أخرى هى *ليلى الأخيلىة*، عاصرت عثمان ومدحت معاوية، وحاول *الحجاج بن يوسف الثقفى* أن يقطع لسانها وفى موقع آخر أكرمها، ولها مع *الوليد بن عبدالمك* حكاية طريفة تدلل على براعتها فى الرد وقوة حضورها فى مجالس

الخلفاء وعلية القوم. وهى تختلف عن *الخنساء* بأهاجيتها التى أثارت معارك حامية بينها، وبين شعراء مرحلتها وفى المقدمة منهم *النابعة الجعدى* خصمها. ولكن *الأخيلية* تحولت إلى الهجاء اضطراراً أو استكمالاً لملح قوتها وتميزها، ولا يذكر هذا الباب فى شعرها إلا استطراداً. ولها أشعار فى رثاء صاحبها توبة بن حمير والأمر الأهم أنها كانت متروجة من رجل آخر عند مجاهرته بأمر هذا الحب. ومن ميزات رثاءها خلو الكثير من شعرها من الطقس المأساوى الذى وسم شعر *الخنساء*. إن اختلاف *ليلى الأخيلية* عن *الخنساء* يبرز فى نوع صلتها بالمراثى وفى طبيعة استخدامها لها، مما يضعها فى مقام أقرب إلى الشعر منه إلى النذب. قال *فؤاد البستاني*: «شعرها أوفر تنوعاً من شعر *الخنساء*، وإن يكن هذا أكثر شهرة، نضمت فى المدح، ولها مدائح حسنة فى *الحجاج* خاصة» (البستاني، ١٩٦٩م، ج ٨: ١).

فقلت فى مدح *الحجاج*:

أحجاج لايفلل سلاحك إنما المنايا بكف الله حيث تراها  
إذا هبط *الحجاج* أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاهها

(صقر، ٢٠٠٦م: ٣٤٥)

وفى العصر العباسى عن موقع المرأة الاجتماعى، ينقسم شعرها إلى شطرين: الشعر الذى تقوله القينة والجارية، وأكثره فى الحب ووصف الطبيعة وبعضه يقرب من التهتك، والآخر شعر التصوف والزهد، يصادفنا شعر صوفى *لرابعة العدوية* التى عاشت فى القرن الثانى للهجرة، ومن شعرها قولها تتغزل فى الذات الإلهية:

حبيب ليس يعدله حبيب وما لسواه فى قلبى نصيبُ

حبيبُ غابَ عن بصرى ولكن عن فؤادى ما يغيبُ

(صقر، ١٩٦٧م: ١٢٤)

أما شاعرات الأندلس فأهم الأغراض التى نظمن فيها، هى: الغزل، والمدح، والهجاء، ووصف الطبيعة، والشكوى، والاستعطاف. لعل أبرز أغراض الشعر النسائى فى الأندلس هو الغزل ومرد ذلك إلى شيوع الترف واللهو والطرب فى المجتمع الأندلسى. ينقسم الشعر الغزلى إلى اتجاهين: اتجاه العفاف والترفع واتجاه المجون والشهوة ومن الشاعرات اللاتى يمثلن الاتجاه الأول هى «*الغسانية البجانية*»، تقول:

أَتَجَزَعُ إِنْ قَالُوا سَتَرْحَلُ أَطْعَانُ      وكيف تطيق الصبر ويحك إنْ بَانُو  
وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ عِنْدَ رَحِيلِهِمْ      وإلا فعيش تجتنى منه أحزانُ  
عهدتهم والعيش فى ظل وصلهم      أنيق وروض الدّهر أزهر ريانُ

(بوفلاقة، ٢٠٠٣م: ٧٤)

فى الشعر النسائى الأندلسى، «ظاهرة حب المرأة للمرأة» أى الجنسية المثلية. كما عند ولادة وحمدونة بنت زياد، وكذلك موضوع الهجاء الذى طرقته المرأة الشاعرة فى الأندلس وأفحشت فيه وتجرات - وبكل وقاحة - على ذكر السوءات وعلى الألفاظ البذيئة التى يخجل الرجل من روايتها وكل ذلك لانجده عند المرأة الشاعرة المشرقية(نفس المصدر: ١٩٢).

انطلق «عهد النهضة» من فكرة حرية المرأة النبيلة وضرورة تعليمها وإتاحة الفرصة أمامها لتعبير عن عاطفتها مع إيمان بسحر الروح الأنثوى، ولكن لم تكسر الشاعرة كصوت جماعى حاجز الخوف من قول العاطفة بأشكالها المنوعة، إلاّ منتصف القرن العشرين وبقي الرثاء أكثر انتساباً إلى شعر المرأة العربية إلى ستينات هذا القرن وإن تطور هذا الغرض لدى شاعرات هذا الزمن ليصبح نزوعاً مأساوياً ومزاجاً سوداوياً كما حدث مع نازك الملائكة وقبلها مى زيادة وباحثة البادية وغيرهن.

لنتذكر أن باحثة البادية كرسّت جزءاً كبيراً من شعرها فى رثاء ابنتها وأقاربها، وإن شعرها الغزل وعلى وجه الخصوص المكتوب بالمصرية المحكية أصبح ضمن تراث الأغاني الشعبية، ونسى الناس نسبته إليها. أما وردة اليازجى التى تقربت من شعر الطبيعة فى صباها، فلم يكن أمامها بمرور الوقت سوى أن تحول نادبة لكل من مات من أهلها ومعارفها، وكانت نازك الملائكة بحق بكاءة لا تكف عن رثاء ذاتها حتى وهى تقول كلام الحب، وعندما توفيت والدتها تحولت إلى "خنساء جديدة" ويتفق هذا الجانب السايكولوجى فى شخصيتها مع نزوعها نحو إظهار أبعاد فلسفية فى شعرها.

نازك الملائكة لم تنتج سوى قصائد الحزن العاطفى ورثاء الذات والشعور بالعزلة والخوف من الزمن والموت. فعاطفة الحب لديها التى تشكل محور قصائدها، ممتنعة بإرادتها عن السعادة، لأنّ الفرح فيها يخرج المرأة عن وقارها ويلقيها فى مهاوى الرذيلة.

أمّا كانت فدوى طوقان بين الشاعرات البارزات بعد الملائكة، أكثرهن جرأة في التطرق إلى موضوع الحب والحرية، حيث تغنت بمواعيدها مع الرجل وقاربت بعض قصائدها من نبرة نزار قباني في تجاوزه المتعارف الاجتماعي.

وفي المرحلة ذاتها ظهر بعض شاعرات منهن لميعة عباس عمارة في العراق التي كانت تعبر بطاقة عن أحاسيسها، وعرفت بجرأتها العاطفية في قول شعر الحب ولم تملك مزاجاً مأسوياً مثل نازك الملائكة، غير أن قصيدتها بقيت في الظلّ مثل الكثير من الشعر النسائي الذي كتب في مرحلتها (نزوى، ٢٠٠٩م: ١٧).

أمّا في عصرنا الحاضر لم أذكر أسمائهن لكثرتهن فقد تفنن في القول، ونظمن في كل مجال من ميادين الشعر الرائق.

هكذا حققنا أنّ المؤرخين سيطرت عليهم فكرة خاطئة، صورت لهم أن الشاعرة العربية لا تحسن غير الرثاء ولذلك حددوا مجالها الفني بالرثاء وحده، وأهملوا شعرها في غيره. فابن سلام في «طبقة شعراء المراثي» وكذلك البحتري في «حماسته» التي أفرد الباب الأخير لمختارات من الرثاء لعشر شاعرات. أما غير الرثاء فلا اهتمام به، وكأنّ المرأة لم تقل الشعر إلّا في الرثاء (بوفلاحة، ٢٠٠٣م: ٢٢).

### نتيجة البحث

إنّ مصطلح الأدب النسائي يفيد عن معنى الاهتمام وإعادة الاعتبار إلى نتاج المرأة العربية الأدبي، وليس عن مفهوم ثنائي، أنثوي – ذكوري، يضع هذا النتاج في علاقة اختلاف ضدّي – تناقضي، مع نتاج الرجل الأدبي.

والمصطلح بهذا المعنى يحيلنا على تاريخ الأدب العربي ساهمت فيه المرأة منذ عهود قديمة، تعود إلى ما قبل الفتح الإسلامي إلّا أن مساهمتها أهملت بسبب من معايير قيمية ربطت بين الفنون والآداب وثقافتهم وبين نظام قبلي قوامه القوة، أو سلطة على رأسها رجل ينزع إلى التسلّط. هكذا جرى تفضيل شعر الفخر والمديح والهجاء على شعر الرثاء، أي تفضيل ما يعبر عن القوة ويخدم السلطة على شعر «الضعف والضعفاء».



ولئن كانت المرأة معتبرة، في نظام القيم الاجتماعي، من جنس الضعفاء فقد أهمل بشعرها وسقط ذكر الشاعرات اللواتي بلغ عددهن ٢٤٢ شاعرة، من الخنساء إلى ولادة بنت المستكفي.



## المصادر والمراجع

- ابن بسام، أبو الحسن. ١٩٧٥م، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، تونس: الدار العربية للكتاب.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم. ١٩٨٦م، **الشعر والشعراء**، بيروت: دار إحياء العلوم.
- الأصفهاني، أبو الفرج. ١٩٨٨م، **أخبار النساء في كتاب الأغاني**، جمع وشرح عبد الأمير مهنا، بيروت: مؤسسة الكتب للثقافة.
- البيستاني، فؤاد أفرام. ١٩٦٩م، **دائرة المعارف**، بيروت: لانا.
- بوفلاقة، سعد. ٢٠٠٣م، **الشعر النسوي الأندلسي**، بيروت: دار الفكر.
- الخنساء، تمتصر بنت عمرو. ١٩٦٨م، **ديوان**، بيروت: دار التراث.
- الرافعي، مصطفى صادق. ١٩٧٤م، **تاريخ آداب العرب**، بيروت: دار الكتاب العربي.
- صقر، عبدالبديع. ١٩٦٧م، **شاعرات العرب**، قطر: المكتب الإسلامي.
- طرايشي، جورج. ١٩٨١م، **الأدب من الداخل**، بيروت: دار الطليعة.
- العاملي، بهاء الدين. ١٩٦١م، **الكشكول**، تحقيق الطاهري الزاوي، ليبيا: دار إحياء الكتب العربية.
- غريب، روز. ١٩٨٠م، **نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- كحالة، عمر رضا. ١٩٨٢م، **أعلام النساء في عالم العرب والإسلام**، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الكيلاني، إبراهيم. لانا، **أدبيات من الغرب**، دمشق: منشورات دار الرواد.
- ونيسي، زهور. ١٩٨٨م، **على الشاطئ الآخر**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- يموت، شبير. ٢٠٠٦م، **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، بيروت: مكتبة الأهلية.

## المقالات

- مرادي، محمد هادي و پیام كرمي، ١٣٩١ش، «**تجليات الحب والمرأة في أشعار نزار قباني**»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية في جيرفت، السنة ٤، العدد ١٣: صص ٨١-١٠١.